وما سواها (66)

إضطرابات العمود النفسي!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa66-15315.pdf

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

قد يبدو العنوان غريبا , والموضوع أكثر غرابة , لكنها ملاحظات سلوكية تستحق بعض النظر , وسأقدمها بأسلوب قد يراه البعض غريبا أيضا.

المقصود بالعمود النفسي , بحور الشعر التي هي إنعكاسات لإيقاعات النفس البشرية.

فالعرب كانوا يقولون الشعر وفقا لإيقاعاتهم الداخلية , وما تلحّنه فيها تفاعلاتهم مع المحيط الذي يساهم بصناعتها وتنظيمها , وصبّها في قوالب لحنية موسيقية متوافقة مع نبضات ما فيهم من الخلجات والرؤى , فتزيد النفس طربا وسرورا وتوجّدا وتوقدا.

وقد إكتشف الخليل بن أحمد الفراهيدي هذه البحور ولم يخترعها , وإنما وجد نفسه في عالم من الإيقاعات والألحان والصياغات الشعرية المتميزة , التي توارثها العرب على مرّ الأجيال.

وما قام به الفراهيدي , هو تنظيمها وتبويبها ومنحها تسميات وتوصيفات , وشرح ما يمكن فيها من الجوازات وما لا يمكن , أي أنه أوضح ملامحها ومعاييرها ومقاييسها الوزنية واللحنية وآليات بنائها وتوافقها مع بعضها.

وكما هو معروف , فأن الشعر والموسيقى قد رافقا الإنسان منذ البدء , فكانت معابد سومر وما قبلها تؤدى فيها الأناشيد والألحان وتعزف الموسيقى , وأول الآلات الموسيقية صنعت في بلاد سومر وهي القيثارة.

والشعر والموسيقى تعبيرات جمالية إنسانية عمّا يختلج في الأعماق , وبوح لنبضات الأفكار والهموم والأحاسيس , والمشاعر والرؤى والتفاعلات القائمة في دنيا التراب.

ومن أولى الملاحظات التي شدّت إنتباهي للبحور الشعرية والألحان الموسيقية , فكرة أنها ظواهر فسيولوجية وفيزيائية متصلة بالنفس , فكل ما في الكائن الحي يعبّر عن الحياة بإيقاع منتظم , وأي إضطراب في هذا الإيقاع يتسبب بمرض.

فالقلب ينبض وفق نظام خاص ومعروف , وأثناء تدريبي في ردهات العناية المركزة للقلب , كنت أرقب تغيرات تخطيط القلب وكيف يؤدي إضطرابها إلى الموت , وكيف علينا أن نعيد النبضات إلى إيقاعها المعروف.

وكذلك معاينتي لتخطيط الدماغ , حيث الإيقاعات المتناغمة التي لو إضطربت لحصل ما حصل , كالصرع وغيره من النتائج الوظيفية المضطربة , وكذلك تخطيط العضلات.

والتنفس وحركة الجهاز الهضمي , وأي جهاز آخر في الجسم , إنما بحاجة لضوابط إيقاعية ,

العرب كانوا يقولون الشعر وفقا لإيقاعاتهم الداخلية , وما تلحّنه فيها تفاعلاتهم مع المحيط الذي يساهم بصناعتها وتنظيمها

إكتشف الخليل بن أحمد الفراهيدي هذه البحور ولم يخترعها , وإنما وجد نفسه في عالم من الإيقاعات والألحان والصياغات الشعرية المتميزة

ما قام به الفراهيدي , هو تنظيمها وتبويبها ومنحها تسميات وتوصيفات , وشرح ما يمكن فيها من الجوازات وما لا يمكن

الشعر والموسيقى تعبيرات جمالية إنسانية عمّا يختلج في الأعماق , وبوح لنبضات الأفكار والهموم والأحاسيس , والمشاعر والرؤى والتفاعلات القائمة في دنيا التراب

الملاحظات التي شدّت إنتباهي للبحور الشعرية والألحان الموسيقية , فكرة أنها ظواهر فسيولوجية وفيزيائية متصلة بالنفس

كل ما يبدر من الكائن الحي

حتى حركة الجسم والخطوات والنظرات , وكل ما يبدر من الكائن الحي محكوم بنظام وإيقاع وتناغم وإنسجام , وأي خلل في هذا التوافق الإيقاعي يتسبب في إضطراب أو مرض أو متلازمة.

أي أن الكائن الحي موجود متناغم يختزن ألحانا وإيقاعات , وأنظمة تنغيم ذات خصائص جمالية وتفاعلات , تُواشج ما فيه وفي الآخرين والمحيط.

والتفاعل الحاصل ما بين الكائن الحي ومحيطه , يساهم في تحقيق أعلى درجات الإنسجام الإيقاعي ما بين الذات الحية ومحيطها المتواصلة معه , وعندما تنفرط هذه العلاقة النغمية الهارمونية يتحقق التصادم والتقهقر والإنقراض , وهذا المفهوم ينطبق على الأفراد والجماعات والأمم والشعوب والحضارات.

ولو إنتقلنا إلى مرحلة إدراكية أوسع , سنعرف بأن النظام الكوني متماسك ومتوافق بإيقاعات دقيقة جدا ومنضبطة تماما , لا تقبل أي مقدار من الخطأ , وكل ما موجود هو ضمن هذا النظام الإيقاعي المرهون بطاقة الجاذبية المتحكمة بالموجودات كافة.

وعليه فأن نبض الحي نبض كوني , وإيقاعات ما فيه إيقاعات كونية , وألحانٌ معزوفة على أوتار التجاذب , وبآلة النفس التي تعبّر عن نبض المكنون الكوني في الحي.

هذا الحي الذي ينتظم كل ما فيه من نشاطات , وفقا لتوقيتات وضوابط وحسابات متناسقة إلى درجة تامة وغاية في الدقة , وعندما يضطرب , يتضح إضطرابه بالقول والسلوك , ولهذا نجد الكثير من الإضطرابات السلوكية , التي نمنحها توصيفات ومسميات ونعالجها في العيادات والمستشفيات.

ومن المعروف أن الإضطرابات الفكرية تتجلى في القول والكلام المكتوب , ويمكن تشخيص أي إضطراب من خلال ما يكتبه الشخص , أو يبوح به ويَسْطره , وفي ما يبدر منه من ردود أفعال.

والكثير من المرضى العقليين يكتبون , ويضعون أفكارهم على السطور , فتقرأ بجلاء درجة إضطرابهم , والكثيرون منهم ميالون لكتابة الشعر , الذي يغذي إضطراباتهم الفكرية وفقدان حالة الإنسجام الفاعلة فيهم.

حتى لتجد نفسك أحيانا متحيرا في ما يسمى بالشعر المنثور أو الحر , لأن الذي يكون على درجة من الإضطراب الفكري وعدم الإنسجام الداخلي , يكون أقدر على الإتيان بشعر يسمى حرا , وفيه علاقات غريبة عجيبة للأفكار بخيوط عصية على المتابعة وتتسبب بوجع الرأس.

في حين إن الذين يمتلكون طاقة الإنسجام والنظام الإيقاعي المنضبط لا يكتبون ذلك , وهذه الملاحظة تأخذنا إلى إمكانية العلاج وتوجيه الأفكار, وذلك بإعادة ترتيب إضطرابات الأفكار في الشعر المكتوب وإعادته إلى آلية النظام والإيقاع السليم.

وقد وجدت هذا الإقتراب نافعا في إعادة صياغة آليات التفكير المضطرب أو ما أسميه "العلاج بالشعر"!!

وخلاصة ذلك أن تَطّلِعَ على ما كتبه الشخص الذي تحت رعايتك العلاجية , ثم تعيد صياغته بإيقاعات شعرية منسجمة وذات ضوابط محكمة , يأخذها ويتواصل في تكرار قراءتها , وستساهم في إعادة ترتيب أفكاره , وتساعده على الوصول إلى حالة التعبير المنتظم , لأن طاقة التكرار لها فعلها

محكوم بنظام وإيقاع وتناغم وإنسجام , وأي خلل في هذا التوافق الإيقاعي يتسبب في إضطراب أو مرض أو متلازمة

التفاعل الحاصل ما بين الكائن الحي ومحيطه , يساهم في تحقيق أعلى درجات الإنسجام الإيقاعي ما بين الذات الحية ومحيطها المتواصلة معه

أن النظام الكوني متماسك ومتوافق بإيقاعات دقيقة جدا ومنضبطة تماما , لا تقبل أي مقدار من الخطأ

أن نبض الحي نبض كوني , وإيقاعات ما فيه إيقاعات كونية , وألحانٌ معزوفة على أوتار التجاذب , وبآلة النفس التي تعبّر عن نبض المكنون الكوني في الحي

هذا الحي الذي ينتظم كل ما فيه من نشاطات , وفقا لتوقيتات وضوابط وحسابات متناسقة إلى درجة تامة وغاية في الدقة

الذي يكون على درجة من الإضطراب الفكري وعدم الإنسجام الداخلي , يكون أقدر على الإتيان بشعر يسمى حرا

إمكانية العلاج وتوجيه الأفكار, وذلك بإعادة ترتيب إضطرابات الأفكار في الشعر المكتوب وإعادته إلى آلية النظام والإيقاع السليم

وجدت هذا الإقتراب نافعا في إعادة صياغة آليات التفكير

الإيجابي في صناعة الترابطات العُصيبية اللازمة لتحقيق الإنسجام والإنضباط الفكري والسلوكي.

وفي لغتنا العربية يمكننا إستخدام الشعر العمودي للعلاج النفسي , لأن الطاقة الكامنة في عمود الشعر ذات قدرات علاجية ممتازة.

وبما أننا نمتلك موروثا غزيرا من الشعر العمودي , فيمكننا إستخدامه في العلاجات النفسية الفردية والجماعية , لأنه سيحقق درجات عالية من إعادة ترتيب الأعماق الداخلية , وفقا لضوابط ذات قيمة سلوكية نافعة.

وقد إستخدمتُ هذه الطريقة في العلاج عندما كنت أمارس الطب النفسي في العراق , ووجدتها ذات نتائج طيبة , خصوصا عندما تتمكن من الإنتقال بالمريض من التعبير عن أفكاره بأساليب مضطربة إلى حالة إمتلاك القدرة على صبها في قوالب منتظمة , ولازلت أعالجُ بالشعر جماعيا وفرديا , فهو بلسم لمداواة الأمراض النفسية والسلوكية والفكرية وغيرها الكثير.

وقد وجدت البحر السريع أقرب البحور إلى المريض النفسي , فما يقوله ويكتبه يمكن إعادة بنائه ليتوافق مع البحر السريع "مستفعلن مستفعلن فاعلن".

وقد قادتني الصدفة إلى هذه الملاحظة , إذ كنت في عيادتي ذات يوم , وكان بجواري أستاذ بكتريولوجي صاحب مختبر يكتب شعرا , ويحسب نفسه شاعرا , وكنا نتحدث عندما يسنح الوقت عن الشعر والأدب وغيرها من المواضيع الثقافية , وكان يأتيني كل يوم بقصيدة , أشم فيها رائحة حالته النفسية التي كتبها فيها , فأصفها له وسط إنبهاره وإستغرابه.

وذات يوم , بينما أنا معه , دُعيت لمعاينة مريضة في عيادتي , فسجلت ما قالته على الورق , وجئت للأخ الشاعر وقلت له مازحا: كتبت لك قصيدة , وكانت تناهز الأربعين بيتا.

فقرأها بقلق , ومضى يقطّعها , ويقول : هذه من البحر السريع , وكان يحدجني بنظرات دهشة وحذر , وظهرت أعراض الغضب على وجهه , وبدى متهكما وهو يقول: إنك شاعر متمكن , تأتيني بأربعين بيتا على البحر السريع في أقل من ساعة , أ تريد أن تمتحنني , أ تشك بقدرتي الشعرية وشاعريتي!!

غضب الأخ وسط دهشتي وإستغرابي , وغادرت غرفته متحيرا ومتأملا , فما سجلته على الورق رسم لإيقاعات أعماق المريضة , ولم أفعل غير ذلك , إنها مشاعر إنسانة كما سكبتها أمامي نقلتها على السطور.

وتلك هي المرة الأولى التي أتعرف بها على البحر السريع , فما درست بحور الشعر , لكني في صباي حفظت عشرات القصائد العمودية , وكتبت ما أسميته كلمات على إيقاعي الخاص , وكنت أحسب أن النفس البشرية ذات إيقاعات خاصة بكل إنسان , وبعد ذلك إكتشفت بأني على خطأ , فإيقاعات النفس كإيقاعات القلب والدماغ وأي عضو آخر في الجسم , لكنها قد تتلون بالتجربة والتفاعلات التي تمر بها وتعانيها فتكسبها سِمة ما قد تميزها قليلا عن غيرها.

إذ كنت أحسب إيقاعات النفس البشرية كبصمات الأصابع , لكنني أدركت الخطأ , فالنفس البشرية واحدة , وأنغامها ذات مقاييس وضوابط واحدة!!

وبحور الشعر العربي تجمع إيقاعات النفس وتصنّفها بمعايير وضوابط محكمة ودقيقة جدا.

المضطرب أو ما أسميه "العلاج بالشعر"!!

لأن طاقة التكرار لها فعلها الإيجابي في صناعة الترابطات العُصيبية اللازمة لتحقيق الإنسجام والإنضباط الفكري والسلوكي

في لغتنا العربية يمكننا إستخدام الشعر العمودي للعلاج النفسي , لأن الطاقة الكامنة في عمود الشعر ذات قدرات علاجية ممتازة.

بما أننا نمتلك موروثا غزيرا من الشعر العمودي , فيمكننا إستخدامه في العلاجات النفسية الفردية والجماعية

لازلت أعالجُ بالشعر جماعيا وفرديا , فهو بلسم لمداواة الأمراض النفسية والسلوكية والفكرية وغيرها الكثير

وجدت البحر السريع أقرب البحور إلى المريض النفسي , فما يقوله ويكتبه يمكن إعادة بنائه ليتوافق مع البحر السريع "مستفعلن مستفعلن فاعلن

إذ كنت أحسب إيقاعات النفس البشرية كبصمات الأصابع , لكنني أدركت الخطأ , فالنفس البشرية واحدة , وأنغامها ذات مقاييس وضوابط واحدة!!

فبحور الشعر العربي لوحة نغمية نفسية , والخليل بن أحمد الفراهيدي هو العالم النفسي الأول الذي أدرك لغة النفس وأبجديات بَوْحها , وتمكن من تشريح نبضاتها وإيقاعاتها بقدرة إدراكية معرفية نادرة.

فما إكتشفه يُعد أخطر إكتشاف نفسي عرفته البشرية , ومضت على إيقاعه مئات السنين ولا تزال!!

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر , أن ضعف الشعر العمودي العربي ومحاربته من قبل الداعين إلى الكلام المنثور أو الحر , قد تسبب في إضطرابات سلوكية في المجتمع , فمنذ ما يسمى بالثورة الشعرية في بداية النصف الثاني من القرن العشرين وحتى اليوم , تجد تعاظما في إضطرابات السلوك على جميع المستويات , لغياب الأصوات الشعرية العمودية المؤثرة القادرة على تنظيم إيقاع الذات العربية , وإعادة الأعماق إلى إيقاعها المنسجم , فما عاد للشعر الموزون أثر في التربية والحياة , وتنازلت الأمة عن أهم معيار مؤثر في تحقيق السلوك المنسجم مع الذات والموضوع , والضابط لمعايير الرؤى والتفكير السليم.

وبهذا خسر العرب قوة حضارية وطاقة إبداعية ذات مردودات إنسانية إيجابية واضحة ومتوارثة عبر الأجيال.

فما عدنا نجد مسؤولا أو قائدا عربيا قد حفظ شعرا عموديا , وتمكن من تقوية نظام تفكيره ورؤيته وتحليله وقراءته للأحداث والتطورات , بعكس القادة العرب عبر العصور حيث كان الشعر العمودي ركن أساسي ومهم في مسيرة تفاعلاتهم اليومية , وأظنه كان يمنحهم الآليات اللازمة للحكم وضبط النظام , وإتخاذ القرار الموزون المحسوب وفقا لمعايير إدراكية وتأملية دقيقة.

وإنْ قيل قديما أنّ لعبة الشطرنج ضرورية للملوك والقادة والحكام , فأن الشعر العمودي العربي , ركن مهم جدا , ومن ضرورات القيادة الناجحة!!!

وربما يُعزى تردي القيادات العربية لتجاهلها أهمية الشعر العمودي في تنظيم الأفكار وضبطها ووزنها وإنسجامها؟!!

قد يكون الموضوع شديد الغرابة , لكنه واقع ملموس وحالة تتطلب الدراسة والنظر , فالذي لا يتمكن من حفظ قَدَرٍ كافٍ من الشعر العمودي , لا يمكنه أن يكون قائدا ناجحا مهما إدّعى!!!

بحور الشعر العربي لوحة نغمية نفسية , والخليل بن أحمد الفراهيدي هو العالم النفسي الأول الذي أدرك لغة النفس وأبجديات بَوْحها , وتمكن من تشريح نبضاتها وإيقاعاتها بقدرة إدراكية معرفية نادرة

أن ضعف الشعر العمودي العربي ومحاربته من قبل الداعين إلى الكلام المنثور أو الحر , قد تسبب في إضطرابات سلوكية في المجتمع

إنْ قيل قديما أنّ لعبة الشطرنج ضرورية للملوك والقادة والحكام , فأن الشعر العمودي العربي , ركن مهم جدا , ومن ضرورات القيادة الناجحة!!!

الذي لا يتمكن من حفظ قَدَرٍ كافٍ من الشعر العمودي , لا يمكنه أن يكون قائدا ناجحا مهما إدّعى!!!

*** *** ***

شبكـــــــة العلـــــــوم النفسيـــــــة العربيـــــــة

دعوة للمساهمة في التعريف بهذا المشروع العلمنفسي الأكاديمي

نأمل من الاساتذة الكرام التعريف بالشبكة في مؤسساتهم الجامعية و الاستشفائية

من خلال توزيع " اللوحة الاشهارية " التالية او ادراجها ضمن معلقات مؤسساتهم العلمية او الاستشفائية

www.arabpsynet.com/Documents/PubAPN.pdf